الحلقة الأولى

حول مفهوم الحزب البروليتاري

يقول لينين : « لما ان يكون حزب ما بالفعل حزبا عماليا سياسيا ام لا ، فان هذا لا يتوقف فقط على كونه يتألف من العمال ، بل يتوقف كذلك على من يقوده وعلى مضمون افعاله وتكتيكه السياسي . ان هذا العنصر الاخير هو وحده الذي يقرر ما اذا كنا امام حزب سياسي فعلا للبروليتاريا » (★) .

■ بقلم : أبو أنمار ■

بعد انهيار النظام الاقطاعي العالمي ، وسيادة النظام الرأسمالي الذي اطلق عليه النظام «الحر» لانه اعتبر نظاما متقدما على النظام الذي سبقه ، ولكن تبين فيما بعد ان تقدمية هذا النظام لا تعني غير بداية ميلاد نظام جديد لاضطهاد الكادحين واستثمارهم . بحيث اتضح بعد فترة قصيرة من سيادته انه نظام استغلالي له مساوىء وعيوب كثيرة ، على عموم المجتمع وخاصة الجماهير المسحوقة التي استخدمها هذا النظام لانتاج خيراته المادية . وسبب هذه العيوب هو فوضى الانتاج والمنافسة « الحرة » بين مالكي وسائل الانتاج من اجل الاستيلاء على الاسواق ومن اجل زيادة ارباحها ، التي لم تزدد بالتأكيد الا نتيجة زيادة استغلال المنتجين وسرقة جهودهم من قبل مالكي وسائل الانتاج بالدرجة الاولى . ورافق هذه الحالة تشغيل النساء والاطفال في المؤسسات الصناعية لانهم ياخذون اجورا اقل من العمال الاعتياديين ويشتغلون لمدة زمنية اطول ، نتج عنها تفشي الفساد والامراض والجهل في صفوف الشغيلة وعوائلهم فاحدثت هذه الحالة ، ردة فعل معاكسة في صفوف المثقفين ، عبروا عنها بمذاهب اشتراكية انتقدت النظام الرأسمالي واحتجت على الاضطهاد الذي يعاني منه الشغيلة ، لكن هذا النوع من المذاهب التي اطلق عليها الاشتراكية البدائية (الاشتراكية الطوباوية) انتقدت المجتمع الرأسمالي وشجبت الاضطهاد فيه ، وقد عبر مفكروها عن آرائهم الطموحة لتغيير حياة الشغيلة بالمجتمع الافضل، عن طريق اقناع الاغنياء بان الاستثمار مناف للاخلاق ، وبالتالي لا بد من ترك الطريقة الانتاجية السائدة انذاك والاتجاه الى العمل التعاوني او تأسيس مشاريع يتقاسم فيها العمال ومالكي وسائل الانتاج الارباح وفق نسبة تخفف من سرقة جهود العمال وتحد من استلابهم . اقترحوا لهذه المشاريع صيغ محددة الا انها فشلت جميعها ، وذلك لعدم موافقة مالكي وسائل الانتاج الرأسماليين ، على هذه المشاريع من ناحية ، ومن ناحية اخرى حتى المشاريع التي أسسها بعض رواد الاشتراكية الطوباوية فشلت ايضا ، لانه من غير المعقول نجاح مؤسسة « اشتراكية » في مجتمع رأسمالي ، قائم على اساس التنافس وفوضى الانتاج . ومع هذا استمر الاشتراكيون الطوباويون في محاولاتهم بالرغم من فشلهم حتى في الوصول الى مؤشر للخروج من الازمة ، والسبب واضح لانهم لم يعوا بعد نفس طبيعة المجتمع العبودي الماجور في ظل النظام الرأسمالي ، ولا كيف تكشف قوانين تطور الرأسمالية ، ولا كيف تجند القوى الاجتماعية القادرة على ان تصير خالقة المجتمع الجديد . غير ان الثورات العاصفة التي رافقت سقوط النظام الاقطاعي والفناني ، في كل مكان من اوروبا وخاصة في فرنسا بينت بوضوح مزايد على الدوام ان الصراع الطبقي هو اساس كل التطور الذي حصل في تلك المجتمعات منذ فجر التاريخ وانه هو القوة المحركة دائما . فما من حرية سياسية تم انتزاعها من طبقة الاقطاعيين دون مقاومة عارمة وصراع دامي وعنيف ، وما من بلد رأسمالي قائم على اساس « حر » و « ديمقراطي » الى هذا الحد او ذاك ، دون قيام صراع حاد حتى الموت بين مختلف الطبقات الاجتماعية التي يتشكل منها ذلك المجتمع .

★ لينين ـ خطاب بمناسبة الدخول في حرب العمال البريطاني .

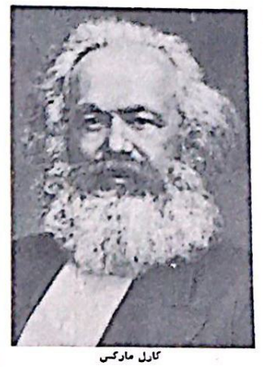
كارل ماركس

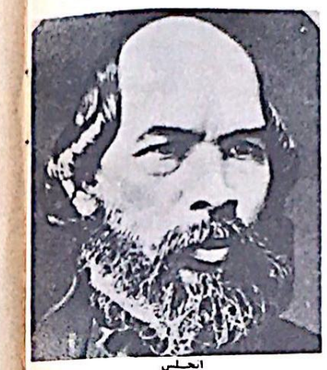
انجلس

ان اول من استخلص هذه الحقيقة وحولها الى علم ، هو معلم البروليتاريا (كارل ماركس) علم يفسر مسيرة التاريخ في جميع انحاء العالم ، وفق تحليل صراع الطبقات ولولا هذه الوضوعه لظل الناس في حمل البساطة سذجا يخدعون انفسهم ويخدع بعضهم بعضا ، ولم تعوا مصالح هذه الطبقات وعارفها مع مصالح الطبقات الاخرى ، بل لظلوا سائرين وراء المعابر والبيانات والوعود الاخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية . ولهذا بقي انصار الاصلاحات والترميمات في المجتمع الرأسمالي عرضة لخداع المدافعين عن الاوضاع القديمة ، طالما لم يدركوا ان قوى هذه الطبقات السائدة او تلك تدعم كل مؤسسة قديمة مهما ظهر فيها من اساليب مزوقة واهتزاز .

من هنا اصبح على الثوريين الهادفين الى سحق مقاومة الطبقات الحاكمة استخدام وسيلة واحدة هي : البحث في نفس المجتمع الذي يحيط بهم عن القوى التي تستطيع بحكم وضعها الاجتماعي ان تكون القوى القادرة على تكنيس القديم وخلق الجديد ، من خلال تربيه طبقية وسياسية ثورية منظمة ، وفي هذا المجال بنيت مادية ماركس الفلسفية ان للبروليتاريا وحدها الطريق الواجب سلوكه للخروج من العبودية الفكرية التي كانت تخيط فيها ذلك الحين جميع الطبقات المظلومه . فالماركسية فسرت وضع البروليتاريا الحقيقي في النظام الرأسمالي ، ووضحت دورها التاريخي من اجل نفر العالم بواسطة حزبها السياسي الذي يمثل مصالحها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهذا يعني ان الماركسية اعطت للطبقه العاملة السلاح الذي تستخدمه في معاركها الطبقية ضد اعدائها المستغلين (وهذا السلاح هو العرق الاساسي والرئيسي ، ما بين الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية) ووضحت الاهمية التاريخية للاشتراكية العلمية ، بالنسبة للطبقة العاملة ، لانها اي الاشتراكية العلمية لم تكف بانتقاد النظام الرأسمالي واظهار العطف على الطبقة العاملة ، بل اعطت السلاح ووضحت الطريق الذي يجب على الطبقة العاملة ، استخدامهما لانجاز مهماتها التاريخية في تحرير نفسها والمجتمع ككل ، وهذا الطريق هو التعاليم الخلاقة للماركسية التي طرحها كارل ماركس وفريدريك انجلس من نزاوح تجربة النضال الطبقي للبروليتاريا مع المعارف الانسانية التي كانت مكدسة قبلهم بعد اطلاعهم عليها وتطويرها لمصلحة الانسان والتي اكملها فيما بعد فلاديمير لينين والمآثر التاريخية لنضالات الطبقة العاملة في جميع انحاء المعمورة . كما اكد معلما البروليتاريا ان القوى الاجتماعية القادرة على قيادة الثورة ضد الرأسمالية هي الطبقة العاملة ، وان الدور التاريخي لها يتحدد وقبل كل شيء من خلال مساهمتها في عملية الانتاج الاجتماعي ، فالبروليتاريا هي اكثر الطبقات تعرضا للاستثمار والحرمان في ظروف الرأسمالية ، وان مصالحها تتناقض مباشرة وبشكل حاد مع مصالح البرجوازية لانها لا تمتلك شيئا سوى قوة سواعدها التي تبيعها للرأسماليين مالكي وسائل الانتاج حتى تستطيع الاستمرار في الحياة ، وهي بالاضافة الى ذلك القوى الرئيسية ذات الصلة الوثيقة بالصناعة الكبيرة التي تعتبر اساس التطور التكنولوجي في المجتمع ولانها القوى التي يحشد الالاف من ابنائها في المصانع ، ليعيشوا تحت ظروف عمل واحد وهذه الحالة تجعل منهم ، الفئة الاكثر استعدادا للنضال والاكثر فاعلية للنضال الموحد والاكثر قدرة على التنظيم والانضباط ، والاكثر صلابة في قيادة المعارك الطبقية لانها تعاني من الاستغلال والاضطهاد الذي يمارسه الرأسماليون بشكل مباشر .

ولهذه الاسباب مجتمعة تُصبح البروليتاريا الطبقة الاكثر ثورية والاكثر استعدادا للنضال في المجتمع . من هنا اصبحت القوى الاكثر قدره على قيادة كل المضطهدين لخوض الصراع ضد الرأسماليين وشن الهجوم التاريخي عليهم في الانتفاضات الثورية . وهذه المسألة ناتجة ليس بسبب الوضع الاقتصادي للطبقة العاملة ولكن ايضا بسبب وعيها الطبقي النابع من ظروف العمل الاجتماعية التي تساعد على اللاحم وتنمية روح التعاون والتعاضد ما بين العمال ، والعطش للمعرفة واتحاد المصالح بين الطبقة العاملة وغيرها من فئات الكادحين التي تهتم بتقدم الجنس البشري ، هذا الدور يمنح الطبقة العاملة قوة خاصة ، ويعطيها الحق ان تمثل حركة الاغلبية الساحقة للشغيلة وبالتالي فان حركتها تمثل حركة ملايين الكادحين ، تماما بعكس الحركات السياسية البرجوازية التي لا تمثل في اي حال من الاحوال اكثر من ٥٪ من السكان . ولكي تكون حركة الطبقة العاملة بمستوى دورها التاريخي لا بد من تأسيس حزبها السياسي الذي يعتبر مسألة ضرورية لضمان حق الاغلبية ولضمان انتصار الثورة . يقول كارل ماركس : « ان احسن السبل لتخلص العمال من سيطرة الاحزاب السياسية القديمة هو : بناء حزب البروليتاريا في كل بلد من البلدان » واكد انجلس ذلك حين قال : « ان البروليتاريا يمكن ان تمارس نشاطها باعتبارها طبقة فقط عندما تنتظم في حزب سياسي مميز ، حزب يقف بوجه الطبقات المالكة » واضاف انجلس يقول محددا الوظيفة التاريخية لحزب الطبقة العاملة المتميز بقوله : « لقد اكدنا ، ماركس وانا ، منذ عام ١٨٤٧ بانه من اجل ان تكون البروليتاريا في اللحظات الحاسمة من القوة بحيث تستطيع الانتصار ، يجب ان تقيم حزبها الخاص ، المستقل عن بقية الاحزاب وبمعارض معها ، حزبها الذي يعرض نفسه باعتباره حزبا طبقيا ».

لقد كان لتجارب معلمي البروليتاريا في اوساط الطبقة العاملة ، ان كشف لهم ان النضال الناجح للبروليتاريا ضد البرجوازية لا يتم الا بتنظيم افضل عناصرها وكوادرها في حزب ثوري يقود نضالها باتجاه صحيح ويحفظ سلامة هذا النضال وفق خط سياسي وافصادي ثوري، لهذا ساهم معلما البروليتاريا مساهمة فعالة في تأسيس وتطوير اتحاد الشيوعيين ، تلك النظمة التي جاءت من تطور منظمة « اتحاد العادلين » الالمانية ذات النهج الانقلابي التي كانت ترى ان مهمتها الثورية في اسقاط السلطة البرجوازية تنبع عن طريق المؤامرات . ولكن اعمال انجلس المستمر بهذه المنظمة لعب دورا كبيرا في تطويرها الى حد حولها بعد المؤتمر المنعقد في عام ١٨٤٧ الى منظمة « اتحاد الشيوعيين » . وعلى الرغم من ولادة اتحاد الشيوعيين من اتحاد العادلين الا انها اعتبرت منظمة جديدة نتجه استراتيجيتها التي حددت طريقة اسقاط السلطة البرجوازية واحلال سلطة البروليتاريا بدلا منها ، وشجبت الملكية الخاصة باعتبارها مصدر التناقضات الطبقية .

كما وضع لها انجلس نظاما داخليا يحدد العلاقة ما بين قيادتها وجمهرة الاعضاء، ولم يقصر ماركس وانجلس دورهما في اتحاد الشيوعيين ، بل ساهما مساهمة فعالة في تأسيس الاحزاب العمالية في البلدان الرأسمالية وقمة انجازهم الثوري هو اصدار البيان الشيوعي عام ١٨٤٨ بتكليف من منظمة اتحاد الشيوعيين ، الذي اعتبر منهاجا لنضالها ضد الاعداء الطبقيين ، وبعد اصدار هذا البيان اعتبر انجلس اتحاد الشيوعيين اول حزب للبروليتاريا الثورية، لانه اعتمد الاشتراكية العلمية كدليل لعمله في النضال المناهض للرأسمالية، وهذا الالتزام مكن اتحاد الشيوعيين من معرفة القوانين الاساسية لتطور المجتمع على اساس الظروف التاريخية الملموسة .

وفي عام ١٨٦٤ كتب ماركس النظام الداخلي للاممية الاولى ، فصادف عليه جميعها العمومية في مؤتمرها المنعقد في نفس العام ، واهم ما احتواه النظام الداخلي والسياسي للاممية الاولى هو تحديد العلاقة التنظيمية على اساس المركزية الديمقراطية ، ان هذا الطور الذي حصل في استراتيجية الاممية الاولى اعطاها دورا كبير في عملية بناء الحزب البروليتاري في الفترة ما بين عام ١٨٦٤ وعام ١٨٧٨ .

ان هذا الدور التاريخي لمعلمي البروليتاريا ـ ماركس وانجلس ـ يثبت بالملموس دور تعاليم الماركسية في مسالة تأسيس وبناء الاحزاب

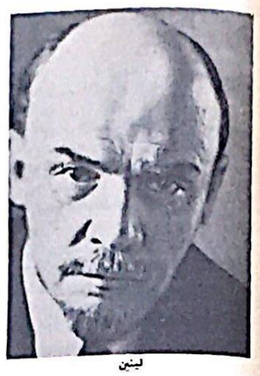
لينين

البروليتارية سواء التي تأسست كنتاج لعملية المعلمين الجبارة ومعارسهما الثورية في نضال البروليتاريا اليومي ، او التي انشئت على هدى مبادىء الاشتراكية العلمية فيما بعد .

وبهذا تكون الاشتراكية العلمية انتقدت النظام الرأسمالي وشجبت اضطهاده للبروليتاريا وفي الوقت نفسه اعطت الحل من خلال وحدة البروليتاريا في نضالها السياسي والاقتصادي والاجتماعي في حزب مستقل يشرف على قيادة ونوجيه جميع الطبقات المسحوقة في نضالها اليومي .

ان هذا العرض التاريخي الموجز يثبت بالملموس ان الاشتراكية والشيوعية وحدهما القادرتان على تحرير الشعوب المقهورة وعمال العالم من العبودية على حد تعبير (هوشي منه) .

ومن هنا تكمن اهمية الاشتراكية العلمية وتعولها على الاشتراكية الطوباوية التي انتقدت دون ان تقدم الحل ..!

● اهمية التنظيم كسلاح للبروليتاريا ●

في المجتمعات الطبقية تتشكل احزاب سياسية وتكون هذه الاحزاب تعبيات سياسية للطبقات التي يتكون منها التركيب الطبقي للمجتمع ، ودور هذه الاحزاب هو قيادة النضال الطبقي ، بصفتها ادوات لهذا النضال ، وقيادات ترشد الطبقات التي تعبر عنها سياسيا في خوض النضال .

من هنا لكي تلعب البروليتاريا دورا كبيرا ومنظما في عملية الصراع الطبقي ، لا بد ان تكون لها اداة (حزب سياسي مستقل) وفي هذا يقول ماركس : « على العمال وفي مقدمتهم رابطة الشيوعيين ان لا يكونوا ثانية كورسا تردد لحن جماعة الديمقراطية البرجوازية بل عليهم ان يعملوا بما في وسعهم على تأسيس منظمة حزبية مستقلة سرية او علنية للعمال لكي يقفوا بذلك على مصعيد واحد مع تلك الجماعات الديمقراطية الرسمية ، كما ينبغي ان يحولوا كل فرع لهم الى محور ونواة لاتحاد العمال الذي يجب ان تناقش بشكل مستقل القضايا الخاصة بموقف البروليتاريا ومصالحها في منأى عن تاثير البرجوازيين » .

غير انه لا يكفي للطبقة العاملة ان تدرك اهمية ان يكون لها حزبها الخاص المستقل . وانما المهم للغاية ان تدرك اي نوع من الاحزاب يجب ان يكون هذا الحزب . فليس كل تنظيم سياسي يستطيع ان يضطلع بالدور المطلوب .

من هنا فان مسالة وجود منظمة البروليتاريا الموحدة سياسيا وتنظيميا وايديولوجيا مسالة ذات اهمية خاصة ، ليس للرد على الطبقات الاخرى المناهضة لمصالحها ، ولكن حتى تستطيع ان ترفع من وعيها وان تدرك رسالتها التاريخية، باعتبارها اكثر الطبقات تقدمية وثورية لان نضالها قد يتعرض للضياع والبعثر اذا لم تتحول الى قوة مادية منظمة وواعية ، للمسالك العفوية والارهابية ، والطبليه الاقتصادية ، المغترة لجهودها النضالية ضد الرأسماليين ، وبالتالي فان مسيرة هذه النضالات ، غير المنظمة سوف لا تصب في البؤرة التي تهدف الى اسقاط سلطة البرجوازيين ، لكون هذه النضالات غير مسيسة وغير مركزة ، وبالتالي فاقدة للنهج والخط السياسي الواضح الموحد . لذلك فان معظم نضالاتها غالبا ما تتعرض لخريب العدو الطبقي فتمنى تلك النضالات بالفشل بسبب غياب التنظيم ، يقول لينين : « ليس للبروليتاريا من سلاح في نضالها من اجل السلطة غير التنظيم ، ان البروليتاريا اذ يقسمها التزاحم العوضوي السائد في العالم البرجوازي واذ سحقها العمل العبودي لصالح الرأسمال ، واذ تقذف على الدوام في اعماق البؤس الاسود ، و الجهل المتوحش ، والانحلال ، تستطيع ان تصبح ـ وستصبح حتما ـ قوة لا تقهر لسبب واحد : هو ان وحدتها الايديولوجية المرتكزة على مبادىء الماركسية تلحمها وحدة التنظيم المادية التي تجمع ملايين الشغيلة في جيش للطبقة العاملة .. »

لذلك يصبح من الضروري وجود الحزب البروليتاري ، حتى يرسم المنهاج النضالي والاقتصادي والنضالي والخط السياسي الصحيح ويعبىء الجماهير على نطاق واسع بواسطة قيادة التنظيم المركزية ، وبعد رأي التنظيم وتحريضه في صفوف الجماهير ومنظماتها الديمقراطية (النقابات ، الشبيبة ، الحركات النسوية ، الجمعيات الفلاحية) .

حزب سياسي من طراز جديد ثوري مسلح بايديولوجية الطبقة العاملة الثورية (الماركسية ـ اللينينية) يهدف الى تحقيق الثورة على الاستغلال والاضطهاد والاستثمار، وذلك باستيلاء الطبقة العاملة على السلطة واقامة ديكتاتورية البروليتاريا ، وتحويل وسائل الانتاج الى ملكية اجتماعية .

ان الحزب الثوري الذي اطلق عليه لينين اسم « حزب من طراز جديد » المقصود به الحزب المؤسس وفق تعاليم الماركسية ـ اللينينية الثورية ، وطبقا لاسلوب لينين ، والمختلف عن احزاب الاممية الثانية الانتهازية ، حزب قائم على اساس الربط الجدلي الحي بين منظمات الحزب والنظرية الثورية ، اي تحويل النظرية بواسطة التنظيم الى قوة مادية للجماهير ،

وبعكس ذلك فان عملية البناء في الحزب المطلوب ستكون دمغاوجية لفظية فاقدة لمحتواها العملي المتحرك اي التنظيم . والاخير يعني فقدان الارتباط بين الاطر التنظيمية والاهداف السياسية والاجتماعية للحزب خاصة اذا اعتبرت المسالة التنظيمية من قبل قيادي الحزب انها مسالة تكنيكية ، لا علاقة لها بالايديولوجية ، والاستراتيجية ، وبالتالي فان نضال الحزب سيتعرض للضياع لانه افقد اهم شرط من شروط تطابق اسلوب التنظيم مع الاستراتيجية السياسية ، بل ان شرط التطابق هو شرط وجود الحزب الثوري اصلا ، وبعكسه لا قيمة ولا فاعلية للنظرية في الحياة المادية للجماهير ..

ومن اجل ايضاح اهمية الترابط بين النظرية والتنظيم نذكر قول جورج لوكاتش :

« ان كل حزب ماركسي عمالي ثوري يمثل ، من حيث ماهيته بالذات نمطا من التنظيم اعلى من اي حزب برجوازي او عمالي انتهازي ، كما تدل على ذلك متطلبات الاعلى شانا من اعضائه الفرديين » .

ان قول لوكاتش يؤكد ان الحزب البروليتاري المستند على نظرية الطبقة العاملة لا بد ان يكون في مستوى تنظيمه اعلى من اي حزب آخر ، وبعكسه طبعا لا توجد ممارسة بروليتارية لان التنظيم هو الجسر الذي يربط بين النظرية والممارسة على حد تعبير (ماوتسي تونغ) .

ان مبادىء التنظيم الثوري تنبع من الايديولوجية الثورية للطبقة العاملة ، فهي التي تحدد جوهر الحزب كمنظمة مناضلة ثورية موحدة ومقاتلة ، تضم في صفوفها جماهير الطبقة العاملة الواعية وتحولها الى قوة قادرة على توجيه كفاح الطبقة العاملة وكل الناس نحو النصر .

من هنا يوضح لنا المبادىء الثورية للحزب البروليتاري انه يمثل وحده منظمه من الطليعة العاملة اذا ما اسمرت عمليه التربيه الطبقيه والسياسية وانتماء الاعضاء وفق التعاليم الثورية للماركسية ـ اللينينية وبعكس فان الحزب سيرهل وتفقد شروط كونه بروليتاريا . ان عملية اسعراض المسالة التنظيمية واهميتها في الحزب البروليتاري وطورها غير بطور تجارب الثورية العمالية ، بعطي ، بسمات تعبير ، بدون شك ، الاساس في تحديد ثورية الحزب من عدمها .

البقية في العدد القادم

اليوميات الفلسطينية

المجلد الثالث عشر

يضم المجلد الثالث عشر من اليوميات الفلسطينية اخبار القضية الفلسطينية في الفترة من ١٩٧١/١/١ الى ١٩٧١/٦/٣٠ وهو يتناول هذه القضية على اصعدتها : الفلسطينية والعربية والاسرائيلية والدولية ، ويغطي جوانبها المختلفة خلال نصف عام .

وقد استقيت معلومات هذا المجلد من اكثر من ٥٠٠ ملف نضمها مكتبة مركز الابحاث مصنفة الى ٥٠٠ موضوع يتعلق بالقضية الفلسطينية وتحوي قصاصات اخذت من نحو ١٠٠ صفحة ومجلة ونشرة في اللغات العربية والعبرية والاجنبية .

ومن اجل مساعدة الباحث خاصة والقارىء عموما في استعمال « اليوميات الفلسطينية » الحق بالمجلد فهرسان الاول باسماء الاعلام الوارد ذكرها في المجلد وهو فهرس يضم نحو ١٤٠٠ اسم ، والثاني باسماء الدول والمنظمات والهيئات بحيث يستطيع الباحث ان يجد ما يبحث عنه بسهولة وسرعة .

بالاضافة الى هذين الفهرسين الحق بالمجلد بيان بعمليات المقاومة الفلسطينية للفترة التي يؤرخ لها هذا المجلد ، حسبما وردت في بيانات فصائل الثورة ، وبوضع هذا البيان مكان حدوث هذه العمليات وتواريخها وطبيعتها وخسائر العدو بالاضافة الى خسائر الثوار .

« اليوميات الفلسطينية » محاولة رائدة لتاريخ تطورات القضية الفلسطينية يوما بيوم ، ومن خلال مختلف وجهات النظر المؤيدة للقضية والمعادية لها ، وهو اول جهد علمي من نوعه في اللغة العربية .

إصدار مركز الابحاث

السعر ١٥ ل.ل. تضاف اليها أجور البريد

٨٠٠ صفحة من الحجم الكبير